الفصل الأول

موقع العالم الإسلامي

الموقع الجغرافي:

الأهمية الاستراتيجية:

امتداد العالم الإسلامي ومساحته:

العالم الإسلامي والمسطحات المائية:

دور التجارة البحرية والبرية في انتشار الإسلام في آسيا:

الهوامش

الموقع الجغرافي:

يحدد الموقع الجغرافي عن طريق تحديد بعض الظواهر الجغرافية، ويعد توزيع اليابسة والمياه من أبرز هذه الظاهرات وأكثرها تأثيراً في تحديد الأهمية النسبية لهذا الموقع.

تمتد كتلة العالم الإسلامي من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي من العالم، على شكل محور أرضي مائل الاتجاه يخترق ما اطلق عليه الجغرافيون بجزيرة العالم المؤلفة من أراضي العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا)، وامتداد العالم الإسلامي من هذه الجزيرة يمثل الجزء الرئيس منها مما أطلق عليه هؤلاء الجغرافيون بقلب العالم. وهذا ما أكده هالفورد ماكندر H. Machinder في دراساته الجغرافية السياسية لتقييم مناطق الكرة الأرضية، إذ حدد هذا الجغرافي قلب العالم في وسط أوربا وشرقها ثم البحر المتوسط، حيث يشرف على الحوض الشرقي للبحر المتوسط كل من تركيا وعدد من دول الوطن العربي.

ويشرف العالم الإسلامي على ستة بحار، هي:

- البحر المتوسط.
- البحر الأحمر.
- البحر العربي.
- الخليج العربي
- البحر الأسود.
- بحر قزوين[1].

إلى جانب البحار الداخلية الصغيرة والأحواض مثل بحر مرمرة الذي تحتضنه الأراضي التركية وبحر إيجة الذي تشرف عليه اراضيها الغربية.

ومضيق اوترانتو Otranto الذي يربط بين البحر الأيوني والأدرياتيكي الذي تشرف عليه سواحل البانيا، وخليج البنغال والبحار الفاصلة بين الجزر الإندونيسية ضمن المحيط الهندي.

وبذلك يمثل العالم الإسلامي قلب العالم، فهو الجسر الأرضي الذي يربط آسيا بأفريقيا ويقترب كثيراً من القارة الأوربية عبر تركيا وعبر بلاد المغرب العربي، ويربط ما بين مياه البحر الأسود والبحر المتوسط مع مياه البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي حيث المحيط الهندي، ومياه البحار المذكورة تؤدي إلى مياه المحيط الأطلسي حيث دول الشمال.

ومما يجدر ذكره ان سواحل العالم الإسلامي مناسبة لأعمال الملاحة، وأن هذه البحار تضيق لتشكل مضائق وبوابات لها اهميتها في السلم والحرب وفي الأهمية الاستراتيجية مثل مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس وجبل طارق والبسفور[2].

الاهمية الاستراتيجية:

=من منظور سبيكمان Spykman الذي يشير إلى الحقائق السياسية الآتية:-

- موقع الدولة عامل أساس في فهم سياستها الخارجية.
- القوة وسيلة للمحافظة على السلام.
- منطقة القوة السياسية تتحدد بالعوامل الخارجية وبالمتغيرات الداينمية في مراكز القوة.

وعلى هذا الأساس فقد رفض سبيكمان نظرية قلب العالم ووضع محلها منطقة الرملاند Remland على اعتبار أنها ذات أهمية استراتيجية كبيرة في العالم، ويقصد الجهات البرية والبحرية المتمثلة في شبه جزيرة العرب والعراق وإيران وأفغانستان والهند وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا وشرق سيبيريا، وهذا يوضح أن جلّ الرملاند هو في أراضي العالم الإسلامي.

ويعتمد سبيكمان في نظريته على أن هذه المنطقة قد شهدت في تاريخها نهوضاً لقوى اجتاحت العالم الغربي ونجحت لتتوغل إلى وسط قارة أوربا وجنوبها. ويقصد بذلك الدولة العربية الإسلامية التي وصل نفوذها إلى حدود فرنسا وإلى الصين شرقاً. وبذلك تحول البحر المتوسط إلى بحيرة عربية إسلامية. كذلك الدولة العثمانية التي وصل نفوذها إلى شرق القارة الأوربية ووسطها، ولعل العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية انطلاقاً من الحفاظ على المصالح قد اعتمدت على مؤشرات هذه النظرية إزاء سياستها صوب الوطن العربي بخاصة والعالم الإسلامي بعامة. فسعت إلى صناعة من يقود هذه البلدان للحيلولة دون اتباع سياسة التعاون والتآخي بين دول العالم الإسلامي[3].

وكان لظهور مادة النفط في أراضي هذا العالم الأثر الكبير في الأهمية الاستراتيجية، وهنا تجدر الاشارة إلى أن شبه الجزيرة العربية قد لفتت أنظار العالم مرتين في التاريخ، كانت الأولى عند قيام دولة الإسلام وانتزاع سيادة العالم من الفرس والروم، وكانت الثانية يوم تدفق النفط من منابع البحرين عام 1932 وعند قيام الحرب العالمية الثانية برزت نظريات جديدة في الاستراتيجية مقتضاها: أن الجو مجال سيطرة وقوة كونه لا يتحدد وفق جهة برية أو بحرية

معينة. ورغم ذلك بقي للموقع الجغرافي أهميته الاستراتيجية في ظروف السلم والحرب على حد سواء.

امتداد العالم الإسلامي ومساحته:

تبلغ مساحة العالم الإسلامي 31715393 كم^2 وبذلك تشكل نسبة 23.4% من مساحة اليابسة البالغة 135708000 كم^2 التي تعد ثاني أوسع قارات العالم، بعد آسيا.

لقد ساعد تفكك الاتحاد السوفيتي على بروز العالم الاسلامي، أكبر وحدة بشرية اثنولوجية، ويشكل الوطن العربي حوالي 43.24% من مساحة العالم الإسلامي وهي نسبة كبيرة. ومما لا شك فيه أن لسعة المساحة من وجهة نظر الجغرافية السياسية دورها في زيادة الوزن السياسي للدولة، من ذلك فإن وحدة الوطن العربي على سبيل المثال تعني ظهور وحدة سياسية عملاقة تتجاوز مساحتها 6 مليون كم^2، وهي المساحة التي عدّها باوندس Pounds الأساس المهم في تكوين الدول العظمى حسب تصنيفه للوزن السياسي للدول والوحدات السياسية. وإن وحدة المواقف العربية والإسلامية من خلال التفاهم وعرض وجهات النظر الدولية سوف يجعل هناك قوة فعّالة لها تأثيراتها في نصرة قضايا العالم النامي الذي يكافح بثبات ضد التبعية وأشكال التخلف[4].

العالم الإسلامي والمسطحات المائية:

-كما ذكرنا- يطل العالم الإسلامي على العديد من البحار المهمة تمكنه من لعب ادوارٍ متميزة في العالم.

تمثل المسطحات المائية اهم طرق المواصلات، إذ يشارك العالم الإسلامي مناطق العالم الأخرى المطلة على المحيط الأطلسي الذي يتميز بأضخم حركة ملاحية في العالم لسفن نقل البضائع وناقلات النفط، وتمر به أكثر من 52% من تجارة العالم. ويمتد من المحيط الأطلسي ذراع بحري مهم يتمثل بالبحر المتوسط الذي شهد ولادة أولى المدارس الملاحية في العالم ولا زال يعج بالحركة وخطوط المواصلات البحرية. فهو جزء رئيس من أقصر الطرق الملاحية التي توصل الغرب بالشرق، أو المحيطين الأطلسي والهندي، إذ إن السواحل الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية للبحر المتوسط جميعها سواحل إسلامية. وتتحكم الدول الإسلامية في معظم مداخل هذا البحر، فتسيطر المغرب على الساحل الجنوبي منه عن طريق مضيق جبل طارق، وتتحكم مصر في المدخل الجنوبي عن طريق قناة السويس، وتسيطر تركيا على مضيقي البسفور والدردنيل اللذين يربطان البحر المتوسط بالبحر الأسود[5]

ويطل العالم الإسلامي من جهة الجنوب على المحيط الهندي، الذي يتميز بحركة ملاحية كبيرة تتمثل في نقل النفط والمواد الأولية بصورة خاصة. ويتحكم المسلمون في أهم مداخل المحيط الهندي: فمضيق باب المندب يقع تحت سيطرة اليمن من جهة، وإقليم عفر وعيسى (الصومال الفرنسي) من جهة أخرى. وإن مضيق ملقا المدخل الرئيس للمحيط الهندي من جهة الشرق يقع في أراضٍ إسلامية أيضاً، إذ تشرف عليه ماليزيا (شبه جزيرة الملايو) من جانب، وإندونيسيا من جانب آخر.

ومما لاشك فيه أن شق قناة السويس قد اضاف للدول العربية والإسلامية ميزة بالغة الأهمية في النقل والتجارة الدولية، إذ كانت تمثل اهمية كبرى لدول غرب أوربا، فكان إغلاق قناة السويس في أثناء حرب الأيام الستة عام 1967 قد زاد من طول المسافة التي تقطعها السفن من جهات المحيط الهندي وجهات غرب أوربا بنحو يتراوح بين 17% و59%. وزاد من كمية الوقود اللازم بنسبة تتراوح بين 50 و70% حسب حمولة السفينة وسرعتها، وذلك نتيجة لاضطراها للدوران حول أفريقيا باتجاه رأس الرجاء الصالح[6].

دور التجارة البحرية والبرية في انتشار الإسلام في آسيا:

انطلقت السفن التجارية الإسلامية وتحمل على متنها الصدق والأمانة قبل أن تحمل البضائع والامتعة. وعند اختلاطهم باهل البلاد وجدوا فيهم فطرة الإنسان السليمة التي أشعلها الإسلام في دواخلهم فراحوا يتقربون منهم وينظرون إلى عباداتهم وعملهم فيسرون بما يرون منهم، ليصبح الاسلام وأهله قريبين من نفوسهم وقلوبهم. وبعد تواتر الرحلات واللقاءات وجد التجار من أهل البلاد انفسهم قد دانوا بالإسلام واصبحوا أحد أبنائه[7]. وكلما اتسعت المحطات التجارية كان الإسلام أكثر انتشاراً، ولما كانت إندونيسيا (الجزر الهندية) من المواقع التي تشد إليها الرحال من أجل المتاجرة، فقد انتشر فيها الإسلام كثيراً حتى عم، وأصبحت أحد الأمصار الإسلامية المعروفة اليوم. وكانت ماليزيا ترتحل اليها السفن بدرجة أقل، وهذا ما جعل انتشار الإسلام يكون أقل درجة مما هو عليه في إندونيسيا. ومن الأخيرة انطلقت السفن التجارية إلى الجزر القريبة يحملون تعاليم الإسلام فنشروا الإسلام في الجزر التي عُرفت بالفلبين حتى حكم المسلمون تلك الجزر إلى أن وصلها الملاح ماجلان (1480-1521) الذي رغب في أن يرتد السكان عن الدين الإسلامي، وتحويلهم إلى النصرانية، فوقعت مناوشات بين الجانبين قتل في أثنائها ماجلان ودُفن هناك. وتلا ذلك مجيء القوات الأسبانية التي فرضت سيطرتها على الفلبين. وطردوا أهلها إلى الأجزاء الجنوبية. وبعد قرون

انتهت السيطرة الإسبانية لتحل محلها السيطرة الأمريكية، وأخذ المسلمون ينتقلون من الجنوب إلى الشمال ويقيمون حول العاصمة مانيلا. وهكذا بقي المسلمون أقلية في الفلبين بعد حرب الإبادة التي شنها ضدهم الإسبان [8].

أما الجزر اليابانية فلم يصل إليها الإسلام لبُعدها عن مواطن المسلمين الأولى، وعن مراكزهم الجديدة في إندونيسيا وماليزيا.

وأما سواحل البر الآسيوي فقد انطلقت إليها بعض السفن التجارية من إندونيسيا أيضاً، وانتشر عن طريقها الإسلام على سواحل فيتنام، وأسس المسلمون هناك في القرن التاسع الهجري إمارة (تشامبا) التي خاضت حرباً شنها عليها الفيتناميون حتى تمت لهم الغلبة فطردوا المسلمين من تشامبا فغادروا صوب كمبوديا، وارتفعت نسبة المسلمين هناك.

ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وربما وصلت السفن العربية الإسلامية قبل وصول الاسلام القادم من إندونيسيا، ولا يهم أيهما وصل قبل الآخر. لكن المهم أن الإسلام وصل. ولم تلبث أن رفدته سفن قادمة من مالقا (المرفأ الغربي لماليزيا) وإندونيسيا فانتعش المسلمون هناك وتزايدت أعدادهم. ووصلت السفن الإسلامية إلى شنغهاي وضواحيها، وإلى شبه جزيرة شانتونغ وكان انتشار الإسلام هناك قليلاً نسبياً[9].

أما سواحل الهند الغربية فقد انتشر الإسلام في جزر لأكاديف بنسبة كبيرة، وكذلك انتشر على سواحل بومباي نتيجة للاستهلاك الكبير للبضائع المحمولة إليهم.

وهكذا وجدت أقليات مسلمة بسبب التجارة البحرية والدعوة على طول سواحل القارة الآسيوية الجنوبية، والجنوبية الشرقية، ولم ينتشر الإسلام كثيراً سوى في الأجزاء التي كانت آخر المحطات التجارية، أو التي تقصدها البواخر وتكون هدفاً لمنتجاتها، ونقصد بذلك إندونيسيا وماليزيا[10].

أما في الداخل الآسيوي فقد انتشر الإسلام فيه وخاصة في البلدان ذات المساحات الشاسعة أمثال الصين والهند عن طريق التجارة البرية، والدعوة الإسلامية التي تخللتها.

لم يكن انتشار الإسلام في الصين سريعاً، فالنسبة العامة للأقلية المسلمة تنخفض كلما توغلنا في داخل الصين. ولقد نشط المسلمون في العهد المغولي (685-769هـ)، إذ انتقلت مجموعات من المسلمين من تركستان، وكان بينهم أعداد من الدعاة إلى الصين، عندما كان المغول يسيطرون على المنطقتين.

أما في الهند فقد انتشر الاسلام في الشمال ما بين السند والبنغال نتيجة سير الفتوحات، وتوزع المسلمون في ارجاء الهند عندما آل اليهم حكمها. وتصل نسبة المسلمين في الهند إلى 14% [11]

وهكذا فإن المناطق جميعها التي انتشر فيها الإسلام في آسيا بعد القرن الثالث الهجري بقي فيها المسلمون عبارة عن أقليات باستثناء البنغال واندونيسيا وماليزيا وجزر المالديف [12].

الهوامش:

(1) عبد علي الخفاف، جغرافية العالم الإسلامي في أسس عامة في المحيطين الطبيعي والبشري، دار الشروق، (عمان، 1998)، ص11– ص12.

(2) الخفاف، المصدر السابق، ص14.

(3) الخفاف، المصدر السابق، ص27– ص28.

(4) الخفاف، المصدر السابق، ص29.

(5) معهد الدراسات الإسلامية، محاضرات في جغرافية العالم الإسلامي، دار الاتحاد العربي للطباعة، (د. م، 1975)، ص6.

(6) المصدر نفسه، ص8.

(7) أحمد اسماعيل ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، مكتبة العبيكان، ج1، ط4، (الرياض، 2003)، ص28.

(8) المصدر نفسه، ص29.

(9) ياغي وشاكر، المصدر السابق، ص29– ص30.

(10) المصدر نفسه، ص32.

(11) ياغي وشاكر، المصدر السابق، ص32.

(12) المصدر نفسه، ص33.